14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة
www.14october.com
14
الإثنين - 29 نوفمبر 2010 - العدد 15007
Monday - 29 November 2010 - Issue 15007
www.14october.com

((تنهيدة الأسى ..تلويحة الجنون)) جديد الأديب العربي يوسف الديك

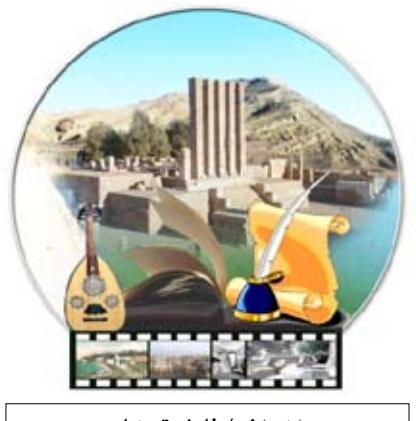

إشراف / فاطمة رشاد

فاطمة رشاد /14 أكتوبر:

عن دار فضاءات للنشر والتوزيع -عمان- الأردن صدر أول عمل روائي للأديب العربي يوسف الديك وفي تصريح له حول العمل الروائي قال :.(إن الحالة الإبداعية كل متكامل ..وثمة منطقة في أقصى هذا الكون تلتقي فيها كل أنواع الأدب وصنوف الفن ..القصيدة باللوحة بالرواية والمسرحية والأهزوجة .. فلا نكاد نلامس الفوارق بينها – في تلك المنطقة المطهرة - إلاّ بمستوياتها الذاتية الخاصة التي ترقى بها أو تهبط .

لم يك لدي أي انطباع مسبق لحظة البدء بالكتابة أنّ هذا العمل سيكون رواية ..لكن بحثت عن شكل أدبي يعبر عما تختزنه ذاكرتي الأدبية من صور وحوارات مؤجلة فكان هذا الشكل هو "الرواية " عن غير تخطيط مسبق أو نية بسبر غور الفن الروائي ..فالشعر قادر على استيعاب الحالة لكن للسرد مكانته لدى الشاعر منذ بدء الخليقة .

أما شخصيات الرواية المحورية فقد أرغمتني هي على تقمصها كما هي حقيقة كلّ منها وما تحمل من نوازع خيرة أو شريرة أو متزنة ومنفتحة أكثر مما ينبغي .. وليس العكس .. فلم أتدخل ككاتب إلا في صياغة مكنونات الشخصية بما ينبغي وكما هي في حقيقتها عبر بناء لغوي سعيت أن يرقى إلى مستوى ذائقة المتلقي الذكي والقادر على التمييز) .

تقع الرواية في سبعة فصول موزّعة على 190 صفحة ، من القطع المتوسط .

وتتناول الرواية مرحلة العدوان الهمجي على الجنوب اللبناني، صيف 2006 ، وتتنقل الشخوص الرئيسية فيها ، والأحداث ، بين عمان ، ودمشق ، وبيروت ، والجنوب ، ثم تعود إلى نقطة البدء وتنتهي في حمص على مشارف العاصي وقبور الراحلين هناك .

الهمّ الوطني الفلسطيني والعربي بمجمله حاضر في العمل منذ بداياته وحتى نبض الحرف الأخير فيه ..فهو يتحدث عن محمود درويش ويناقش بعض نصوصه من خلال الشخوص ..وهو يتناول فلسفة الصراع الدائم بين فكرتي السلام والمقاومة ... والتناقض بينهما ...ولعل شخصية سمير الأساسية في الرواية تحمل هذا العبء وتترجمه في الواقع ، أضف إلى هذا تناول شريحة عريضة من أحياء ومخيمات اللجوء خارج فلسطين وما يحدث فيها من صدامات يومية وعلاقات حياتية تحت ظروف متفاوتة .

وتأتي الرواية ، (تنهيدة الأسى ـ تلويحة الجنون) ، بعد ثلاث مجموعات شعرية صدرت للكاتب ، هي: (طقوس النار) ، (1986)، و(شعراء من بلاد الشام) ، 1992(، مشترك ، وباللغتين: العربية، والفرنسية) ، ثم "تفاصيل صغيرة ..على نحاس القلب" ، (2005).

وثلاث دواوين مخطوطة لم تنشر بعد وعدة دراسات فكرية وسرد ذاتي طويل قيد العمل .

والأديب يوسف الديك ، عضو في رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد الأدباء والكتاب العرب واتحاد كتاب وأدباء الإمارات ..ويقيم ، منذ العام 1997 ، في الإمارات العربية المتحدة.

عميد الأدب العربي .. صناعة التاريخ والحضارة

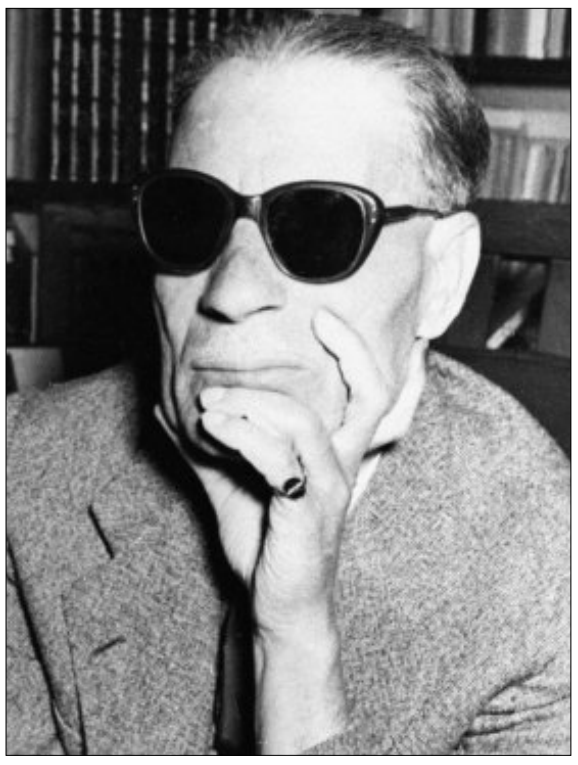

ترتقي الشعوب بمكانتها في التاريخ والحضارة، حين تبلغ بآدابها وفنونها ومعارفها العلمية أعلى درجات التقدم، فعلى هذه المرتكزات النهضوية تمتلك مقدرة صناعة فلسفتها الكونية التي تربطها مع معالم ومعارف وقيم الحضارات الأخرى، فهي الامتداد بين ماضٍ صنع مكانته بين عوامل زمانه، وحاضر يستمد منه دروس وعبر وقادم لا نصل إليه الا عندما نكون قد أرسينا الدعائم الموضوعية وأسسنا الهوية لمعرفة ذاتنا في الصلة مع الغير.

نجمي عبدالمجيد

والحضارة الإنسانية في العالم تدرك القيمة المعرفية لجهود عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الذي أدرك منذ أوليات حياته الفكرية أن آداب الشعوب وفنونها هي من يحدد هويتها الحضارية ويرسم جغرافيتها النفسية والفكرية وهذه الأطر الثقافية تشكل الروح المتحركة في جوهر كيانها الإنساني والمعرفي، فالحضارة كما يراها الدكتور طه حسين لا تقف حدودها عند صناعة التاريخ، بل هي سلوكيات إنسانية في التخاطب مع حضارات، ومعارف أخرى، وعملية خلق أسلوب في قراءة المعرفة، فالآداب وإن هي مرآة الشعوب، فهي في الوقت ذاته ميزان نفسي يسعى لحفظ الذات من جنوحها نحو التوحش، فقد أدرك أن الحضارة في لحظات التساقط تنفلت منها ضوابط الاستقامة والاتزان، وترتع فيها عوامل التصادم والانحراف وتذهب فيها المذاهب والتناحرات إلى أقصى مراحل الدمار والخراب.

ما قدمه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين من دراسات وبحوث وقراءات لمسار الأدب العربي قديماً وحديثاً، لا تقف علامات فكره عند نقاط شرح ماضي الأمة أو إعادة تعريف الهوية السابقة، بقدر ما ذهب في بحوثه إلى عمق أسباب النهوض وعوامل الأزمنة، فالحضارات لا تحمل صفات المطلق في الاستمرارية، بل هي مراحل نسبية لها ما يشكلها من مجريات زمانها تتواكب معها من بدايات الارتقاء إلى دورات الانحطاط وفي دورة التاريخ هذه تأتي صور وملامح آدابها وفنونها في شعرها ونثرها، وصناعة مذاهبها وعقائدها، وتحويل كل هذا في خدمة رغبة سلطوية أو خلق بؤرة صراع ينصب في واجهة كيانها. فكل هذه المسببات هي حصيلة تراكم تبدأ تجمعاته عند بدايات فترة النهوض، وتتداخل مع مشروعه في فترات القوة وتنسحب مع تساقطه لتتحول إلى عوامل ضرب وتقسيم وإسقاط، فالحضارة مثل ما تحمل في داخلها أسباب قيامها كذلك توجد في جوهرها جرثومة مرضها وعجزها ونهايتها، وما قدمه لنا طه حسين من دراسات لحضارات العرب واليونان والرومان، يدل على أن التاريخ وصناعته وانتاج المعرفة، لا تخضع لشروط من أنتج كل هذا، بل تدخل فيها أسباب زمنية وأحداث وقتية تنذر بأن حقبة الأفول قد اقتربت، وأن التاريخ يمهد السبل والأوضاع لصنع أزمنة جديدة وأشكال مغايرة وعقليات مختلفة تعمل هي الأخرى على إفراز صور هويتها في عدة مجالات وترسي لملامح حقب قادمة من التاريخ.

لقد نظر الدكتور طه حسين إلى الحضارة العربية ـ الإسلامية نظرة الباحث الذي لا يستند إلى مجد الانتماء العقائدي أو العرقي الذي يحصر الفكر في دائرة الذاتية ويرى بكل إرث تاريخه الصواب الذي لا غفوة أو أخطاء فيه، ولم ير في هذا الانتماء المذهبي والحضاري الحق المطلق في التسيد على الغير، بل نظر إلى الماضي في إطار موضعه ونوعية صلتنا به التي يجب أن تتكون من رؤية حاضرنا، لأنه أصبح خارج دائرة التاريخ المعاصر، لذلك يجب أن نتسلح بمعارف العصر لنوجد الأرضية التي نقف عليها من الإدراك والتفكير.

إن الحضارة العربية ـ الإسلامية هي الانتماء عند الدكتور طه حسين، ولكنها في الوقت نفسه هي الأزمة فهذا التناحر الذي عصف بأمة التوحيد والفرق والمذاهب المتصارعة وثنائية الانقسام وتوضيف الآداب والفنون بل والدين في خدمة كل هذا، جعله يدرك أن التاريخ أصعب من أن تستحوذ عليه طائفة أو مذهبية أو عقيدة أو فردية تسعى لجعل رؤيتها هي الأوحد في نشر الأحكام وتوجيه الأمور.

إن الفردية وإن تمسكت بمنهج الصواب فهي لا تقدر على حرف مسار التاريخ الذي يسعى لوضع مكوناته حسب فلسفته الكونية، فالهوى النفسي لا يوجد مقدرة الصناعة التاريخية بقدر ما يوجد التصورات والأحلام في جعل المتخيل جزءاً من الحياة.

وعندما يسقط العقل في دائرة فرض التخيل وعند جعله هو الحل دون قراءة لمسار التاريخ تشل القدرة على إنتاج المعارف ويصبح ما ينتجه العقل هو الأهواء والانجرار بعد المصالح الذاتية التي تلبس ثوب القداسة على مشروعها سواء كان سياسياً أو مذهبياً، لأن في هذا الوقت يصبح التاريخ في نظرها هو السلطة الحكم والمذهب الأول في فكرها طرد الآخر أو وضعه في سجون التكفير والردة والتطاول على المقدسات، فهذا الصنف من العقليات هو من جعل من المقدس أيديولوجية سياسية، فكان الانفجار والتصارع الذي قاد الحضارة الإسلامية إلى الحتمية التاريخية (السقوط وغياب مكانتها).

لقد وجد طه حسين في تاريخ الآداب الإسلامية والعربية منها صوراً لما مر بهذه الحضارة من أطوار عبر حقب أزمانها، فقد وجد في شعر المتنبي حالة الأزمة النفسية التي تعصف بالتاريخ فهذا القلق والترقب والخوف والمطاردة وتحدي الأقدار ومشاهدة مجد أمة وحضارة انتماء وهي تتهاوى وزوال دولتها ومحاصرة الأعداء لها، كل هذا جعل هذه العقلية الجبارة والشعرية الخالدة في تاريخ العرب صورة لهذا العصر العباسي الذي كان يسير في طريق الأفول، فهذا الشاعر هو صرخة العصر وصوت الرفض وجرس الإنذار مما هو قادم إليكم يا عرب.

لقد ضرب الشلل جسد هذه الأمة وأحرقت الأمراض والعلل نفسيتها فالعصر هو زمن الفاجعة فكيف لشاعر مهما ملك من براعة الكلمة أن ينقذ هذا التاريخ من الخراب؟ .

لقد كان المتنبي شاعراً أكبر من عصره، غير أن هذه المكانة لم تشفع له وسقط قتيلاً وهو يحمل سيفه، لكنه ظل في سجل التاريخ مرحلة من ازمة حضارة العرب وروحها المعبرة عن الإخفاق الذي يضرب التاريخ ويسقط الحضارة، إنه شاعر النفسية الحضارية والشاهد التاريخي على ضياع مجد العرب.

إن الوقوف أمام منعطفات التاريخ في أدب طه حسين يأتي في لحظات تأمل يرى فيها العقل الأسباب والعوامل التي تنقل الأمم والحضارات من وضعية إلى أخرى وكيف تتساير في ذلك آدابها وفنونها، بل حتى لغتها التي هي مرآة فكرها وهويتها الإنسانية، فهو يرى بها الكيان الحاوي لكل خصائص وجودها وجغرافيتها النفسية وحالات تشكلها الوجداني، واللغة هي من يحفظ هوية الأمة في انتسابها التاريخي لنوع معين من الحضارة والحقب الزمنية الخالقة لهذه المفردات المعرفية.

كان عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين من العقليات الفكرية والحضارية في المشرق التي أدركت مدى أهمية الاتصال العلمي مع حضارة الغرب في العصر الحديث ولم يأت هذا الاتجاه لديه من رغبة ذاتية فقط، بل من رؤية عالمية لانتقال ريادة التاريخ والفكر من الشرق إلى الغرب، فكانت آداب وفنون وفلسفة حضارة الغرب هي المنطلق التي تسيدت في هذا العصر على قيادة العالم وأصبحت معارفها مسارات في طريق الحاضر.

غير أنه استبصر البعد التاريخي لهذه الحضارة في عمق ماضيها، فمن بلد اليونان والرومان وعلوم حقبها الماضية أمتدت معانيها إلى دورة التاريخ المعاصر، مروراً بإنتاج حضارة الإسلام وعلوم زمانه، فالحضارات حلقات اتصال لأنها تنصب في كونية الإنسان الخالدة في ذاكرة الأزمان.

فقدم من الترجمة والقراءات النقدية والأحاديث عن الآداب الغربية العديد من المؤلفات المنطلقة من تجاور المعارف في الحضارة الإنسانية فكما نذهب في هويتنا نحو الماضي من تراثنا، لذلك لا يمكن أن نسقط حاضر ومكانة الحضارة الغربية بما تقدم للعالم من علوم وفنون وآداب تعد الزاد المعرفي الذي يدفع بنا نحو الارتقاء والتطور والآداب هي الصور المعبرة عن كيان ونفسية الغرب، فمن خلال ما ينتج من شعر وقصة ورواية ومسرح وفنون أخرى، نجد ما يرفد العقل والروح ويذهب بهما لمعرفة هذا الجانب من عالم اليوم ومسيرة الشعوب، ويقول الكاتب الفرنسي الدكتور ريمون فرنسيس عن علاقة طه حسين بالأدب الفرنسي:

"إن هذا الموضوع من الاتساع بحيث لا يمكننا أن نقصره، بلا أسف على مقالة تقع في بضع صفحات. وأني لأسعد لو أن هذه الصفحات اوحت على الأقل، إلى طالب ماجستير أو دكتوراه بفكرة تكريس جهوده لدراسة موضوع قد يهم علماء الاجتماع ومؤرخي الحضارة أو يتعدى إطار الأدب المقارن بمعنى الكلمة .. سيأخذ طه حسين إذ ذاك بلا أدنى شك مكانة بين كبار كتاب العالم الذين – نظراً لتمكنهم من لغة أجنبية إلى جانب لغتهم الأصلية – عرفوا كيف يعودون مواطنيهم على ذخائر ثقافة وفكر لم يكن هؤلاء المواطنون ليكتشفوها بدونهم ."

عملية نقل الأدب الفرنسي إلى العربية في مجهود الدكتور طه حسين، ليست هي إعادة صياغة لنصوص أدبية، بل هي إعادة تشكيل للعقل العربي في إطار الاتصال مع الآخر.

إن قراءة آداب الغير ومعرفة فكرهم هي عملية دخول إلى تاريخ وعقلية هذه الشعوب وتحديد هويتها من معارف العالم ومن هنا كانت لمعارفه في هذا الجانب الدور الأكبر في تطور مسارات قراءة النصوص الأدبية وترجمتها ونقد عناصرها وإبراز عوامل ترابطها مع أحداث العالم المعاصر وفي هذا رؤية لمقدرة الأدب على الاتصال الإنسان وبالذات ما ظهر منه بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا وما عانته شعوبها من ويلات تلك الحرب التي أعادت صياغة الكثير من أفكارها وفلسفتها وفنونها وعلومها.

يظل ما تركه لنا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في هذا المجال مرحلة انتقال للعقل العربي من عصور سقوط الحضارة وتراجع صناعة التاريخ إلى بداية محاولة الثقافة العربية لفتح معابر نحو أفق الاتصال مع العالم المتحضر.

والقيمة الحضارية لأفكار طه حسين تكمن في أنها تجاوزت ما فرض على العقل العربي من حدود لا يمكن تخطيها وتحويل الإنتاج المعرفي إلى مقدس، لذلك كانت أعماله عملية رفض لتلك القداسة لما هو تاريخي متصل بوعي الإنسان، وتعامل مع المعرفة من مستوى ما تقدمه من معارف قابلة للنقد والحوار فالتاريخ لا يصبح مجرد صنم بل هو وقائع تراكمها الأحداث وأفكار تتصارع فيها العقليات وتسخر السياسية والأديان والعقائد في خدمة كل فترة من سيادة الحكم.

وسوف يظل الدكتور طه حسين كظاهرة تاريخية محط حوارات ونقاشات على مدار عقود مقبلة، وسوف تكشف الأجيال في أعماله الفكرية والأدبية عدة مواضيع لا تفقد منزلتها مع تقادم الزمن مادام العقل الإنساني يبحث عن منافذ للعلم وإرتقاء للحضارة ومادامت الآداب والفنون الروح السائرة في كيان التاريخ وجسور تربط بين الأمم والحضارات ذلك ما يكتب لفكر طه حسين الخلود في التاريخ الحضاري وقادة العقول المستنيرة.

درب الوحشة

شفاء منصر

قبلك كان دربي إلى الحلم والبهجة
مسدودا بأكوام السخام
وجدران الوحشة تخنق روحي
وتنتظر احتضاري
وأنت يا صغيرتي أسيرة شرنقة الحرير
تحفظين تاريخ عذاباتي كيما لا تخذلك
الذاكرة بصدأ النسيان
وتتوقين أن يحين أوانك لتحلقي
نحو الأفق البعيد لتعانقي ضوء
الشمس ولون البحر
وأزهار الجنان
وحينما أوشك السخام أن يجتاح
ما تبقى من دربي بالقتامة والسواد
تحررت من سجن شرنقتك
وانداح بهاء جمالك
ليمحو وحشة أيامي
ويفتح دربا إلى النور
مبددا كائنات السخام

عدن اليوم عروستنا

طه أمان

خليجي عشرين يا حيا بك
بين اهلك وأحبابك
حيا بك في يمن الخير
يمن (ياسين) و(تبارك)
الفرحة اليوم كله نور
تخلي القلب كله سرور
عدن فرحانة بجنتها
كحورية من بنات الحور
عدن اليوم عروستنا
وفرحتها هي فرحتنا
وحماها الله ورعاها
ونفديها بأرواحنا
خليجي عشرين باطمئنان
والفرحة في كل مكان
يمن الخير يابلادي
يحفظك الواحد الرحمن

أمن واستقرار اليمن مهم لأمن واستقرار المنطقة والسلم الدولي
علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية